الفصلُ السادس

الإيمانُ بالدار الآخرة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصلُ السادس

الإيمانُ بالدار الآخرة

العوالم التي يَمرُّ بها البشر

ينبغي أن نعلم أنَّ العوالَم التي تكتنف حياة البشر، والتي يمرُّ بها الناسُ منذُ بداية الخلق، إلى أن يرث اللّهُ الأرضَ ومن عليها، هي ثلاثة عوالم:

١ ـ عالَمُ الدنيا.

٢ ـ عالَمُ البرزخ.

٣ ـ عالَمُ الآخرة.

الأول: عالَمُ الدنيا

أمّا عالمُ الدنيا: فيبدأ منذ أن أُهبط آدم وحواء عليهما السلام من الجنة إلى الأرض، وبدأت ذريته تنتشر وتتناسل، إلى انتهاء الحياة عن سطح هذا الكوكب الأرضي، وتسمى هذه الحياةُ (الحياةَ الدنيا) أي القريبة.

قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ومعنى الآية الكريمة: ليست هذه الحياةُ الدنيا التي تعيشونها دائمة، ولا خالدة، بل هي ظلٌّ زائل، ومتاعٌ فانٍ، وما فيها من زينةٍ وشهوات، وأموال، وملذّات، يشبه اللهو واللعب، الذي هو من شأن الصّبيان والسفهاء، لا من شأن العقلاء، فينبغي أن لا ينخدع بها المؤمن، والآخرةُ وما فيها من النعيم الدائم، هي الحياة الحقيقية السعيدة، لمن أراد الراحة والهناء، ولو كان عند الناس فهم وعلم، لم يُؤْثِروا دار الفناء على دار البقاء.!

obeikandl.com

الثاني: عالَمُ البَرْزخ

أمّا عالمُ البرزخ: فيبدأ من حين دخول الإنسان القبرَ، إلى يوم البعث والنشور، حيث يخرج الخلائقُ من قبورهم، ويُساقون إلى أرض المحشر، للحساب والجزاء، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

هذا البرزخ الذي أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ هو الحاجزُ والفاصلُ بين (عالم الدنيا) و(عالم الآخرة) وهو القبرُ الذي يكون مثوى الإنسان، إلى يوم الحشر، الذي تجتمع فيه الخلائقُ للحساب والجزاء.

الثالث: عالَمُ الآخرة

أمّا عالمُ الآخرة: فهو اليومُ الذي يجري فيه حساب الخلائق، على ما اقترفوه في الدنيا من خيرٍ أو شرّ، ومن طاعةٍ أو عصيان.

وهو (يوم القيامة) الذي يلقى فيه الإنسانُ جزاءه ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] وقال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وهو ما سنتحدث عنه بالتفصيل في هذا الفصل من هذا الكتاب.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

الإيمانُ بالدار الآخرة

قال اللّه في كتابه العزيز: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

الإيمانُ بالدار الآخرة ركنٌ أساسيٌ من أركان الإيمان، وهو مرادف (لليوم الآخر) الذي ورد به القرآنُ الكريم، في آيات عديدة من سوره.

يسمَّى (يومُ القيامة) بأسماء عديدة، منها: (يومُ الفصل) و(يومُ الحساب) و(يومُ الحشر) و(يومُ الجمع) و(يومُ التغابن) وغيرها من الأسماء.! ويسمَّى (باليوم الآخر) لأنه يأتي بعد آخر أيام الدنيا، كما تسمى تلك الدار التي يجري فيها الحساب والجزاء (بالدار الآخرة) لأنها الدار الأخيرة، التي يلتقي فيها جميع الخلائق بعد إحيائهم، وبعد انتقالهم من (دار الفناء) إلى (دار البقاء).

يوم القيامة

يومُ المحكمة الإلهية الكبرى

قال الحقُّ جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤].

في ذلك اليوم العصيب الذي لا مهرب لأحد منه، لأنه يوم الفصل بين الخلق، يلتقي فيه الحاكم والمحكوم، والظالم والمظلوم، والقويُّ والضعيف، والغنيُّ والفقير، لينالوا جزاءهم العادل في (المحكمة الكبرى).

يومُ القيامة يومُ (المحكمة الإلهية) وهو اليومُ الذي أقسم اللّه على مجيئه، أقسمَ عليه بذاته المقدَّسة، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

استقرار البشر في دار النعيم أو الجحيم

والدار الآخرة هي الدار التي يستقر فيها الخلائق في النعيم، أو في الجحيم، حسب إيمانهم وأعمالهم.

قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

أي ليست هذه الحياة الدنيا، إلّا ظلٌّ زائل، ومتاعٌ فانٍ، يشبه اللهو واللعب، الذي هو من شأن الصبيان، لا ينخدع بها إلّا الغافل الجاهل، والآخرةُ وما فيها من النعيم الخالد المقيم، هي الحياة الدائمة السعيدة، لمن أراد الراحة والهناء، لأنها الحياة الدائمة التي لا تنغيص فيها ولا كدر.

وتسمى الدار الآخرة (دار القرار) لأن فيها الاستقرار الدائم، والخلود المؤبّد، في دار النعيم إن كان صاحبها مؤمناً، أو في دار الجحيم إن كان كافراً، كما قال مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ • يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٨، ٣٩].

الدّارُ الآخرةُ هي الباقية

وقد كثُر ذكرُ (الدار الآخرة) في القرآن الكريم، ليتّعظ الناس ويعتبروا، ولا يركنوا إلى الدار الفانية، قال تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

وفي سورة يوسف جاء التذكير بالدار الآخرة، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ [يوسف: ١٠٩] أي أفلا تعقلون أن الباقي الدائم، خير من الفاني الزائل؟

❁ ❁ ❁

الإيمانُ باليوم الآخِرِ قرينُ الإيمانِ باللَّه

الركنُ الخامس من أركان الإيمان: هو (الإيمانُ باليوم الآخر) والبعثِ والحساب والجزاء، وهذا ركن هام من أركان العقيدة، بل يكاد يكون أهمَّ الأركان، بعد الإيمان باللّه الواحد الأحد.

ولهذا نرى القرآن الكريمَ، يقرن بين الإيمان (بوحدانية اللّه ووجوده)، وبين (الإيمان باليوم الآخر)، في آيات كثيرة لا تكاد تُحصى، تمعَّنْ معي قول اللّه عزَّ وجلَّ:

١ ـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨].

٢ ـ **وقوله تقدست أسماؤه:** ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣ ـ **واقرأ قوله جل ثناؤه:** ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ... ﴾ [النساء: ٣٩].

٤ ـ **واسمع قول اللّه تعالى:** ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ... ﴾ [النساء: ٥٩].

٥ ـ **وتدبَّرْ قول العليّ الكبير:** ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴾ [التوبة: ١٨].

٦ ـ **وكذلك قوله عزَّ شأنه:** ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾ [التوبة: ١٩].

٧ ـ **واقرأ قوله سبحانه:** ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ... ﴾ [التوبة: ٢٩].

ولو أردنا أن نتتبَّع آيات الذكر الحكيم، وما جاء فيه من الاقتران بين (الإيمان باللّه) والإيمان (باليوم الآخر) لضاقَ بنا المقام، وطال بنا الحديث،

وما هذه الآيات الكريمة التي ذكرناها، إلّا تبصيرٌ وتذكير بأهمية (الاعتقاد باليوم الآخر)، الذي يلتقي فيه المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، لينال كلُّ إنسانٍ جزاءَه على ما فعله في الدنيا، من خير أو شر، أو صالح أو طالح.!

القَسَمُ بيوم القيامة

ونظراً لأهمية هذا اليوم، الذي يجتمع فيه البشر في صعيد واحد، للحساب والجزاء، أقسم اللّه جلّت عظمته بذاته المقدّسة، على مجيء هذا اليوم، وأنه حقٌّ لا ريب فيه، ولا بدَّ من مجيئه، فقال تقدست أسماؤه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٨٧].

هذا قَسَمٌ من ربِّ العزة والجلال، على أن يوم القيامة ـ يوم الحساب والجزاء ـ قادم لا محالة، لا مجال للشك فيه والارتياب، ولا أحد أصدق في الحديث من ربِّ العالمين!!

لماذا سُمِّي يوم القيامة باليوم الآخر؟

١ ـ **وإنما سُمّي يومُ القيامة باليوم الآخر**، لأنه (المحطّةُ الأخيرة) في حياة البشر، وبانتهاء الدنيا، ينتقل الناس من دار الفناء، إلى دار البقاء، فهو آخر الأيام المحدودة، التي قضاها الباري جلَّ وعلا للخلائق، في هذه الحياة الدنيا، ثم يعقبها يوم (الحشر الأكبر)، فيوم القيامة يكون بعد انتهاء الدنيا، فهو آخر الأيام على الإطلاق، لأنه يأتي متأخراً عن الدنيا.

٢ ـ **ويُسمَّى يومُ القيامة (يومَ الفصل)** لأن اللّه يفصل فيه بين العباد، فيثيب المؤمنَ المطيع، ويجازيه على عمله بدار النعيم، ويعاقب الكافر الفاجر، فيدخله نارَ الجحيم، ويفصل فيه بين الخلائق بحكمه العادل، قال اللّه تعالى: ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ۝ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴾ [النبأ: ١٧، ١٨].

٣ ـ **ويُسمَّى (اليوم المشهود)** لأنه يوم اجتماع جميع الخلائق، يشهده الأوّلون والآخرون، الأبرار والفجار، والمؤمنون والكفار، ويلتقي فيه أهل السماء، بأهل الأرض.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ • وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ • يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣ ـ ١٠٥].

والمراد أن ذلك اليومَ يومٌ عصيبٌ ورهيب، لا يتكلَّمُ فيه أحد إلّا بإذن الله تعالى، لا مَلِك ولا عظيم، الكلُّ قد خضع لجلال الله وعظمته، فمنهم الشقيُّ، ومنهم السعيد ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

٤ ـ **ويُسمَّى يومَ (العدل الإلٰهي)** لأن كلَّ إنسان ينال جزاءه، بمنتهى الدقة والعدالة، كما قال الله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

لماذا سُمِّيَ يوم التَّلاق؟

٥ ـ **ويُسمَّى (يوم التَّلاق)** لأنه فيه يلتقي المؤمنون والكفار، والأبرار والفجار، والناسُ في ذلك اليوم، يكونون بارزين أمام الأنظار، لا شيء يسترهم من حجاب أو بناء، الكلُّ أمام ملك الملوك الواحد القهار.

قال الله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ • يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٥، ١٦]

سُمّي (يوم التَّلاق) لأن فيه يتلاقى الخلائق في صعيدٍ واحد، الظالم والمظلوم، والحاكمُ والمحكوم، والقاتلُ والمقتول، وينادي فيه ربُّ العزَّة والجلال: لمن المُلْكُ اليوم؟

وتسكت الملائكة والخلائق، هيبةً لله وفزعاً، فيجيب تعالى نفسَه بنفسِه ويقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أي الذي قَهَر كلَّ عظيم وكبير.

قال الحسن البصري: هو تعالى السائل، وهو المجيب، لأنه يقول ذلك يومَ لا يستطيع أحدُ الجواب ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله أنه قال:

(يطوي الله السمواتِ والأرضَ بيمينه، ثم يقول: أنا الملِكُ، أنا الجبَّار،

أنا المتكبِّر، أين ملوكُ الأرض؟ أين الجبّارون؟ أين المتكبِّرون؟[(١)].

لماذا سُمِّي يوم الحسرة؟

٦ ـ **ويُسمَّى يوم القيامة (يوم الحسرة)** لأن فيه يتحسر الكافر والفاجر، على ما صنع في الدنيا من الكفر والأعمال القبيحة، وهو اليوم الذي يُذْبحُ فيه الموتُ، فلا موتَ بعده، ويُخلَّد فيه الإنسان في النعيم أو الجحيم، وتعظُمُ فيه الحسرةُ على الكفار والفُجار.

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ـ أي فيه بياض وسواد ـ فينادي منادٍ: يا أهل الجنة! فيشرئبُّون ـ أي يمدُّون أعناقهم ـ وينظرون، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ وكلُّهم قد رآه!!

ثم ينادي منادٍ: يا أهل النّار، فيشرئبُّون وينظرون، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموتُ، وكلُّهم قد رآه.!

فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار ﷺ بيده إلى الدنيا)[(٢)].

لماذا سُمِّي يوم التغابن؟

٧ ـ **ويُسمَّى أيضاً (يوم التغابن)** لأنه اليوم الذي يظهر فيه غَبْنُ الكافر وخسارتُه، بتركه الإيمانَ وإغراقه في العصيان، قال الله تعالى:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ....﴾ [التغابن: ٩].

والغبنُ في اللغة: النقصُ والخسران، يُقال غَبَنه إذا هَضَمه حقَّه، كمن يشتري من مغفَّل دُرةً بمائة درهم، ثمنُها عشرةُ آلاف درهم.!

٨ ـ **ويُسمَّى يوم القيامة (يوم الدِّين)** ومعنى الدِّين: الحسابُ والجزاء، وهو اليوم الذي يحاسبُ فيه الإنسانُ على عمله الذي اقترفه في الدنيا، قال الله

(١) الحديث رواه مسلم رقم (٢٧٨٦) في صفة القيامة، والترمذي رقم (٣٢٣٩) في التفسير.

(٢) أخرجه البخاري ٨/ ٣٢٥ في التفسير ومسلم رقم (٢٨٥٠) كتاب الجنة والنار.

تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار: ١٧ ـ ١٩].

وقال سبحانه في قصة إبراهيم: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

obeikandl.com

ما معنى البعث والنشور

عبارةُ (البعثِ) تشير إلى إخراج الناس من قبورهم.

وعبارةُ (النشور): تعني إحياءهم بعد الموت، فاللّهُ تبارك وتعالى، بعد فناء الناس، يخرجهم من قبورهم، ويعيد لهم الحياة مرةً أخرى، للحساب والجزاء.

وهذا أمرٌ مقطوع به، جاءت به الرسالاتُ السماوية، ونَطَق به الذِّكرُ الحكيم، فما خلا دين من الأديان، عن الإخبار عن (الحياة الأخروية) التي هي مصير البشر، ومستقرُّهم الذي ينتهون إليه.

قال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والمعنى: ليست هذه الدنيا دائمة خالدة، بل هي ظل زائل، ومتاع فانٍ، وما فيها من شهوات وملذَّات، يشبه لعب الأطفال والصبيان، ولا ينخدع بالدنيا إلّا السفيهُ الجاهل، والدارُ الآخرة وما فيها من النعيم الدائم الخالد، هي الحياة الحقيقية السعيدة لمنْ أراد الراحة والسعادة، وأما أحسنَ ما قاله القائل:

تَأَمَّلْ في الوُجُودِ بِعَيْنِ فِكْرٍ   تَرَى الدُّنْيا الدَّنِيئَةَ كَالخَيَالِ
وَمَنْ فِيهَا جَمِيعاً سَوْفَ يَفْنَى   وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ

عقيدة البعث من أهم أركان الإيمان

إن موضوع الاعتقاد (بالبعث بعد الموت)، ركن أصيل في عقيدة المسلم، وهو من أهمِّ أركان الإيمان، بعد الاعتقاد بوجود اللّه ووحدانيته، ولهذا تكرَّرَ ذكره في القرآن، بأساليبَ متنوعة، وحجج متعددة، البرهان تلو البرهان، والحجة تلو الحجة، لأن في إنكاره تضييعاً للمسؤولية، وإهداراً للحكمة الإلٰهية من خلق الإنسان.

اقرأ قول الله عزّ وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وكأنه يقول: هل تظنون أننا خلقناكم لمجرد اللهو واللعب؟ من غير حكمة؟ هل خلقناكم كما نخلق البهائم؟ تعيشون لملئ البطون، ونيل اللذائذ والشهوات؟ تقدّس الله وتنزّه عن العبث واللهو، لأنه حكيم، فلا بدّ من العودة إليه، لنيل جزاءكم العادل.!

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

القَسَمُ بجلال اللَّه وعظمته على البعث

لقد أمرَ اللَّهُ رسولَه ﷺ، أن يُقسم للمشركين وللبشر جميعاً، بعظمة اللَّه وجلاله، على (أمر البعث)، وأنه كائن لا محالة في آيات ثلاث من كتابه العزيز، لأهمية الموضوع الذي أنكروه، وتقرير عقيدة البعث والنشور، لأن القَسَم بجلال اللَّه وعظمته، لا يكون إلّا في أمر عظيم وخطير!!

الآية الأولى

أما الآية الأولى: فقول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

الزَّعمُ: القولُ بالظن من غير تحقيق ولا تثبُّت، ولهذا قال العرب في أمثالهم: (زعموا مطيَّةُ الكذب) أي هي مَرْكَبُ كلِّ مفترٍ كاذب..

أي ظنَّ المشركون المنكرون للبعث، أنهم لن يُبعثوا بعد الموت، قل لهم يا محمد: أُقسِمُ لكم بربِّي، وبعظمته وجلاله، أنكم ستبعثون، وتخرجون من قبوركم أحياء، للحساب والجزاء، وستنالون جزاء أعمالكم القبيحة.!

الآية الثانية

أما الآية الثانية: فقولُ اللَّهِ تقدست أسماؤه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٣].

هذه كسابقتها قَسَمٌ بجلال اللَّه وعظمته، أي قل يا أيها الرسول لهؤلاء الكفار الفجار، القائلين لا بعث بعد موتنا ولا نشور، ولا حساب ولا جزاء، قل لهم: أقسمُ لكم بربي وبجلاله وعظمته، ستبعثون لا محالة، ويأتيكم وعد اللَّه المحتوم بمجيء القيامة، لأنها وعدُ اللَّه الذي لا يُخلف، لتحقيق العدل الإلٰهي في حساب البشر.

obeikandi.com

الآية الثالثة

أمّا الآية الثالثة: فقولُ ربِّ العزة والجلال: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣].

أي يستخبرونك يا محمد ويسألونك: أحقٌّ ما وعدتنا به من أمر البعث بعد الفناء؟ وأمر الحساب والجزاء!؟ فقل لهم: نَعَم، وأقسمُ لكم بربي الذي أرسلني إليكم، إنه لحقٌّ كائن، لا شكَّ فيه، ولستم معجزين ربكم، أن يعيدكم بعد موتكم إلى الحياة مرة أخرى، لأنكم في قبضته وسلطانه.!

آيات ثلاث تؤكّد أمر البعث ومجيء الآخرة، وأنها حقّ لا شك فيه، والقَسَمُ بجلال الله وعظمته وسلطانه، دليلٌ ساطع على أن الأمر جِدٌّ خطير، فإن إنكار البعث، اتهامٌ لله جلّ وعلا بعدم الحكمة والتدبير، لأنّ خلْقَ شيءٍ، لغير غاية ومصلحة، عبثٌ وسَفَه، يتنزّه عنه ربُّ العزة والجلال.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

إنكار المشركين للبعث

لقد أنكر المشركون البعث والنشور، وكذَّبوا بالمعاد بعد فناء الأجسام، بل استبعدوا على قدرة الله، أن يبعثهم بعد الموت، بعد أن تصبح عظامهم نَخِرةً، وتنقلب أجسادهم إلى ترابٍ ورفات ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾؟ [الإسراء: ٤٩].

أي هل إذا أصبحنا عظاماً بالية، وذراتٍ متفتتة، مختلطةً بتراب الأرض، هل سنُخلق خلقاً جديداً، بعد أن نفنى ونبلى؟

هل يستطيع الله أن يعيدنا إلى الحياة مرة أخرى؟ أهذا شيء مقبول؟ أو معقول؟

التهديد والوعيد لمنكري البعث

وجاءهم الجوابُ سريعاً، حاسماً، قاطعاً:

﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ۝ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٥٠ ـ ٥٢].

أي قل لهم يا أيها الرسول: لو كنتم من حجارة صمّاء، أو من حديدٍ صَلْد، أو من مادة أقسى وأصلبَ من الحديد، لأعادكم الله إلى الحياة مرة أخرى، فإنَّ الذي خلقكم من العدم، لا يصعب عليه أن يعيدكم للحياة مرة أخرى، لأن الإعادة ـ بمنطق العقل ـ أسهلُ من البدء!! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾!! [الروم: ٢٧].

وقولُه سبحانه: ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾ أي يهزُّونها سخرية واستهزاء، ويقولون متى سيكون هذا البعث والإحياء؟ قل لهم: لعلَّ وقته

يكون قريباً!! فإنه يوم (الحشر الأكبر)، الذي يجتمع فيه الخلائق، للحساب والجزاء.

هذا الإنكار من المشركين ليوم البعث والنشور، دليلُ الغباء، وقلّة الفهم والإدراك، فإنهم لو فكّروا بعقولهم: أين كانوا قبل أن يُخلقوا؟ ومن الذي أوجدهم من العدم؟ أليس هو اللّٰه ربُّ العالمين؟ فكيف ينكرون قدرته على إعادتهم؟ وكيف يكذِّبون بيوم الحساب والجزاء!؟

وبمنطق العقل السليم، فإنّ (الإعادةَ أسهلُ من البدء) إنّ المخترع للسيارة أو للطائرة، يستطيع أن يعيدها مرة ثانية، إذا تفككت أجزاؤها وتبعثرت قطعها!! أفيعجز الذي أوجد الإنسان من العدم، أن يعيده إلى الحياة بعد موته وفنائه!؟

المنكرون للبعث بعد الموت

قصة (أُبَيّ بنِ خَلَف) مع الرسول ﷺ

روى الحاكم وابن جرير الطبري (أنّ أحد زعماء الكفر، وطغاة قريش (أُبيّ بنِ خَلَف) قال لقومه يوماً: أَلا ترون إلى ما يقول محمد؟ يزعم أن اللّٰه يبعث الأموات، ويحييهم بعد أن يصبحوا ذرّاتٍ ورُفاتاً!!

واللّاتِ والعُزّى، لأذهبنّ إليه ولأخصمنّه ـ أي أقيم عليه الحجة على كذب دعواه ـ!!

فجاء إلى النبيّ ﷺ بعظمٍ بالٍ متفتّتٍ، فجعل يفتُّه بيده، ويقول يا محمد: أتزعم أن اللّٰه يحيينا بعد أن نموت؟ ونصبح رُفاتاً مثلَ هذا العظم النّخر؟ وفتّ العظمَ بين يدي رسول اللّٰه ﷺ، فجعل يتناثر ذراتٍ، وجعل الخبيثُ يسخر ويهزأ!!

فقال له عليه الصلاة والسلام: نعم، يميتُك اللّٰهُ، ثم يُحييك، ثم يدخلك نار جهنم[1]!

(١) انظر كتابنا (التفسير الواضح الميسر) ص٤٦٨.

obeikandl.com

وفيه نزلت هذه الآيات الكريمة:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ • وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ • قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ • ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ • أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ • إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ • فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٧ ـ ٨٣].

تفسيرُ الآيات الكريمة

ومعنى الآيات الكريمة: أولم ينظر هذا المنكر للبعث، أنَّا خلقناه من شيء حقيرٍ مهين، هو النُّطفةُ ـ المنيُّ ـ الخارج من مخرج النجاسة!؟ فإذا هو شديد الخصومة والجدال لربه، يقول: أيستطيع اللّهُ أن يعيد هذه العظام البالية إلى الحياة، فيخلق منها إنساناً؟

إنّه ينكر قدرة اللّه، ويكذّب بالبعث بعد الموت، أفليس الذي قدر على خلقه من نطفة، بقادرٍ على أن يعيده للحياة مرة أخرى!؟

وضرب لنا المثل بالعظم البالي الرميم، ونسي أنَّا خلقناه من نطفة مهينةٍ، فأوجدناه إنساناً بعد العدم.! نسيَ خلقه العجيب، وأخذ يجادل ربه بالباطل ويقول: من يحيي هذه العظام، وهي باليةٌ أشدَّ البلى؟ وهي ذرات متفتتة متلاشية، لا جلد لها، ولا لحم، ولا عَصَب؟

قل يا محمد لهذا المنكر الجاحد: الأمرُ يسير، يخلقها ويحييها الذي أوجدها من العدم أول مرة، وأبدع خلقها وتكوينها، فالقادر على البَدَاءة، قادر على الإعادة.!

أليس هذا الخالق العظيم، المبدع للمخلوقات، الذي خلق السموات وما فيها من نجوم، وشمس، وقمر، وخلق الأرض وما فيها من بحار وأنهار، وجبال وأشجار، بقادر على أن يعيد البشر بعد موتهم وفنائهم؟ بلى إنه هو الخلّاق، العليمُ بكل المخلوقات، الذي يقول للشيء: كن فيكون.!

هذا هو البرهان الساطع، على إمكان البعث والنشور، يذكره القرآن للغافلين عن الخلق الأول، الذين لا يفكّرون في قدرة اللّه وعظمته، فيضربون للّه تعالى هذه الأمثال السخيفة، ويقولون: كيف يعيدنا اللّه للحياة؟ بعد أن نصبح ذراتٍ مختلطة بتراب الأرض؟ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا • أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾؟ [مريم: ٦٦، ٦٧].

وهذا الإنكار منشؤه غفلةُ الإنسان عن نشأته الأولى، أين كان؟ وكيف خُلق من ماء مهين؟ ولو عَقَل وفكّر وتدبّرَ، لَعَرفَ أن الأمر أيسرُ ممّا يتصوّر، فالقادر على البدء، قادر على الإعادة!!

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

قصة غريبة رواها البخاري في صحيحه

من عجائب وغرائب (القَصَص النبويّ) التي رُويت لنا في الصحيح عن رسول الله ﷺ هذه القصة العجيبة: (أن رجلاً من الأمم السابقة، كان قد أسرف على نفسه في العصيان، كان مؤمناً بالله، ولكنه كثير الذنوب والمعاصي، فلمّا دنت وفاتُه، جَمَع أبناءه ـ وكانوا جميعاً شباباً في ريعان الشباب ـ

فقال لهم: ألستم أبنائي؟ ألستُ قد أحسنتُ إليكم، وأنفقتُ عليكم حتى صرتم شباباً أقوياء؟ قالوا: بلى، قالَ: فأيَّ أبٍ كنت لكم؟ ـ أي كيف تعتقدون في أبيكم، وفي إحسانه إليكم ـ؟ قالوا: واللّه لقد كنتَ لنا خيرَ أب، أكرمتنا، وعلّمتنا، وأحسنت تربيتنا، وما تركتَ طريقاً إلى سعادتنا ونعيمنا إلّا أمّنته لنا!! وأثنوا عليه خيراً.!

وصيّةُ الأب لأولاده

فقال لهم يا أبنائي: إني لم أدّخر عند اللّه حسنة واحدة، وأخشى أن يعذّبني اللّه عذاباً شديداً، لا يعذّبه أحداً من العالمين!! لذلك أوصيكم بهذه الوصية، وأطلب منكم أن تنفّذوها كاملة، ولا تتهاونوا في أمرها.!

إذا أنا مِتُّ، فخذوا جُثَّتي فاحرقوها، حتى تصبح كالفحم الأسود، ثم خذوها فاسحقوها سحقاً دقيقاً، حتى تصبح ذراتٍ ناعمة، ثم انتظروا يوماً شديد الرياح والعواصف، فخذوا نصف هذه الذرّات المتجمّعة بعد الحرق، فألقوها في البرّ، لتتطاير مع الرياح العاصفة، وخذوا النصفَ الثاني، فألقوه في البحر، ليمتزج بمياه البحار الواسعة.!

فواللّهِ لئن قَدَر اللّهُ عليّ، ليعذبَنّي عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين.!

يقول عليه الصّلاة والسّلام: فما لبث أن مات الرجل، ففعل أبناؤه ما

أوصاهم به أبوهم، أخذوا الجثة فأحرقوها حرقاً شديداً، حتى لم يبق فيها جلدٌ ولا لحم، وأصبحت كالفحم، ثم سحقوا الجثة المحروقة، حتى أصبحت كالتراب الأملس الناعم، ثم قسموها قسمين: فرموا بالنصف منها في مياه البحر، وانتظروا حتى هبّت عواصف شديدة، في يوم كثير الرياح والعواصف، فألقوا بالنصف الآخر في البرّ، فتطاير هباءً مع العواصف، ورجعوا إلى بيوتهم، بعد أن نفّذوا وصية أبيهم.!

قال عليه الصلاة والسلام: فأمر اللّهُ البرّ فَجَمَعَ ما فيه، وأمر البحرَ فَجَمَع ما فيه ـ يعني من الذرات المتناثرة من جسد ذلك الرجل ـ ثم قال له: كُنْ عبداً، فإذا هو عبدٌ كاملُ الخلق، واقف بين يديْ ربِّ العزة والجلال!

فقال له اللّهُ عزّ وجلّ: **ما حَمَلَك على ما صنعتَ؟ أتظن أنك تخلص مني، وتنجو من عذابي بهذا الصنيع؟!**

فقال العبدُ: يا ربّ، ما حملني على ذلك، إلّا مخافتُكَ ـ أي الخوف منك ـ فعفا اللّه عنه، وغفر له زلّته، وأكرمه بالمغفرة والرضوان)[(١)].

سبب المغفرة إيمانُه وخوفُه من اللّه

يقول المحدِّثون: إن اللّه تعالى تجاوَزَ عن سيئاته لإيمانه، لأنه كان شديدَ الخوف من اللّه، ولو لم يكن مؤمناً باللّه، لَمَا دفَعَه أن يوصي أبناءه بتلك الوصية، لأن الكافر لا يُصدّق بلقاء اللّه، فلا يخطر على باله، أن يفعل ما فَعَل الرجل، الذي اشتدّ خوفه من اللّه، حتى ظنّ أنه بهذه الطريقة، يتخلّص من العذاب.

واللّهُ تعالى غفور رحيم، يغفر للإنسان كل ذنب، إلّا الإشراك باللّه، فلا عجب أن يغفر اللّه له تلك الزلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) ذكرنا هذه القصة بالمعنى، وأصلُ هذه القصة حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه.

هذا الحديثُ الشريفُ ذكرناه بالمعنى، وهو دليلٌ على سعة رحمة اللّه تعالى، لمن مات على الإيمان، مهما كثرت ذنوبه وعَظُمت خطاياه، حتى لا ييأس أحد من العصاة، من رحمة اللّه تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ....﴾ [الزمر: ٥٣].

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

لماذا ينكر الكافر الآخرة؟

إنكارُ الكافر للآخرة، ليس ناشئاً عن حجةٍ عقلية يقتنع بها، إنَّما الدافع له هو الطغيانُ والفجور، لأن الذي يميل طبعُه إلى الفسوق والفجور، لا يكاد يقرُّ بالبعث والنشور، لأن ذلك يُنغِّصُ عليه حياتَه، ويفسد مُتْعَته بالاسترسال في اللذائذ والشهوات، فهو لذلك ينكر الآخرة، ولا يُصدِّق بالبعث، حتى يستمرَّ على فسقه وفجوره، وشهواته البهيمية!!

وهذا ما نبَّهنا عليه القرآنُ الكريم، في آياته البينات، حيث يقول جلَّ ثناؤه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ • بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ • بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ • يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾؟ [القيامة: ٣ ـ ٦].

المرادُ بالإنسان هنا: الكافرُ الفاجر، أي لا يريد الإنسان بهذا الإنكار للآخرة، إلَّا أن يستمرَّ على فجوره، ويُقدم على فعل المنكرات والآثام، دون وازعٍ من ضميرٍ أو دينٍ، لينطلق كالحيوان، ليس له همٌّ إلا نيل شهواته البهيمية، والاسترسال في الشهوات والملذَّات، فهو لذلك ينكر الآخرة، لأن الإيمان بالآخرة والحساب والجزاء، لِجَامٌ للنفس الشرِّيرة الراغبة في الفجور، فهو يحاول أن يُزيح هذا اللِّجام، ويزيل تلك العَقَبة، لينطلق كالحيوان بلا قيود ولا حدود، ولا تفكير في المصير الذي يؤول إليه، وصدق الله حيث يقول عن الكفار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

لماذا يؤكِّد القرآن على موضوع البعث؟

لقد أكَّد القرآن على هذا الموضوع الخطير، وكرَّر ذكره بأساليبَ متعددة، وأقام الحججَ والبراهينَ، على مجيء البعث، لأن في إنكاره تضييعاً للمسؤولية، وإهداراً للحكمة من خلق البشر.

إذ يصبح الناس كالوحوش الضارية، يستبدُّ القويُ بالضعيف، ويبطش الطاغيةُ بالعاجز، ويأكل الغنيُّ الفقير، ويظهر الطغيان، ويزول الأمان.!

وفي الإيمان بالبعث والنشور، يستقيم سلوكُ الإنسان، لأنه يؤمن بلقاء ربه، والحساب يوم الجزاء، فلا يسير مع الشهوات والأهواء، ولا ينفلتُ كالحيوان، بلا وازع ولا ضابط، بل يزن كلَّ أموره، بميزان العقل والشرع، فيستقيم سلوكُه، وتتهذَّب نفسُه، وتنضبطُ أخلاقُه وأهواؤه.!

هل حَدَثَ الإحياءُ للموتى في الدنيا؟

لقد حدث (إحياءُ الموتى) في هذه الدنيا قبل الآخرة، كمظهرٍ من مظاهر قدرة اللّه تعالى، وإثباتاً لعقيدة (البعث والنشور) فقد أحيا اللّه جلّ جلاله الموتى، في خمسة مواطنَ متعددة، وهي جميعها ناطقة وشاهدة على أن اللّه يبعث من في القبور، وهي براهينُ ساطعة على عقيدة (البعث والنشور).!

الموطن الأول

الموطن الأول: قِصّةُ الرجل المقتول من بني إسرائيل، الذي لم يُعرف قاتلُه، أحياه اللّه تعالى بعد أن ضربوه بجزءٍ من البقرة، فقام حياً وأخبر عن قاتله.

قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ • فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣].

وخلاصةُ القصة (أن رجلاً من بني إسرائيل، كان له ابن عمٍّ غني، لم يكن له وارث من أبناء أو بنات، سوى ابنِ عمه، وأراد أن يتعجّل بقتله ليرثَ ماله، فاستدرجه إلى مكانٍ خارجَ البلدة، وأقدم على قتله، ثم حَمَل جثته ليلاً، فرماها بين أهلِ قريتين، ثم جاء في الصباح، يطالب بالقصاص من القاتل، أو دفع دية ابن عمه، وكادت تحدثُ حربٌ بين أهل القريتين، ثم قالوا: نرجع إلى نبيِّ اللّه (موسى) لعلَّ اللّه يوحي إليه، ويخبرنا عن القاتل! فقال لهم موسى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ...﴾ [البقرة: ٦٧] وأمَرَهم موسى أن يأخذوا جزءَ منها، ويضربوا به القتيل، فيحييه اللّه تعالى ويخبركم عن قاتله! ففعلوا ذلك، فأحياه اللّه، وأخبرهم أن ابن عمِّه هو الذي قتلَه، وانكشف أمرُ

القاتلِ، فحُرِمِ المجرمُ من الميراث، وأمر موسى عليه السلام بقتله قصاصاً، وقد ذكر تعالى هذه القصة في كتابه العزيز، لتكون دلالته ساطعة، على إحياء الله الموتى بعد موتهم.

الموطن الثاني

الموطن الثاني: قِصَّةُ الجهلاء المعاندين من بني إسرائيل، الذين طلبوا رؤيةَ الله عزَّ وجلَّ، جهرةً وعَيَاناً، حتى يؤمنوا برسالة موسى، فأماتهم اللهُ ثم أحياهم بعد الموت، وكان ذلك بمرأى من بني إسرائيل.

وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦]. فقد أحياهم الله تعالى بعد موتهم، أمام الأنظار والأبصار.

الموطن الثالث

الموطن الثالث: قصَّةُ القوم الذين خرجوا من ديارهم، فراراً من الموت، بعد أن دعاهم نبيُّهم إلى الجهاد، فلم يطيعوا أمره، وهربوا خوفاً على أنفسهم من الموت، فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم.

وفيهم يقول رب العزة والجلال:

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الموطن الرابع

الموطن الرابع: قصَّةُ الرجل الصالح «عُزير» الذي مرَّ على بلدة (بيت المقدس) بعد أن دمَّرها الطاغية الجبَّار «بختنصَّر» فوقف يتعجب من قدرة الله عزَّ وجلَّ، كيف يُحيي اللهُ البلاد، بعد فناء أهلها، ويعيدها على حالها؟ فأماته الله مائة سَنَة مع حماره، ثم بَعَثه، ليريه كمالَ قدرته على إحياء الموتى.!

وفي ذلك يقول عزَّ شأنه: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ

أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

الموطن الخامس

الموطن الخامس: قِصَّةُ (إبراهيمَ عليه السلام) خليل الرحمن مع الطيور الأربعة المذبوحة، وإلى ذلك الإشارة في قوله اللّه عزّ وجلّ:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

لم يكن سؤالُ إبراهيمَ عن شكٍّ في قدرة اللّه، فلم يقل: هل تقدر على إحياء الموتى؟ وإنما قال: ﴿ كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ فهو سؤالُ مؤمنٍ مصدِّق بقدرة اللّه عزّ وجلّ، يريد أن يرى كيفيّةَ الإحياء، ليزداد إيماناً فوق إيمانه، فقال له ربُّ العزة والجلال: خذ يا إبراهيم أربعةَ طيور، مختلفةَ الألوان والخِلْقة، ثم ضُمَّهنَّ إليك، واذبحهنَّ وقطعهنَّ، ثم اخلط لحومهنَّ وعظامهنَّ، حتى يختلط بعضُهُنَّ ببعض، ثم اجعلْ على كلِّ جبل، قطعةً من هذه اللحوم المختلطة، ثم ادعهنَّ إليك يأتينك مسرعات، ففعل إبراهيم ذلك، فأحياهنَّ اللّه له، وهو يرى ذلك بعينه.!

قال مجاهد: أخذ إبراهيم عليه السلام (طاووساً، وديكاً، وحمامةً، وغراباً) فذبحهنَّ وخلطهنَّ، ووزَّعهُنَّ على رؤوس الجبال، ثم ناداهنَّ بقوله: تعالَيْن إليّ بإذن اللّهِ تعالى!!

فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، واللحم يطير إلى اللحم، حتى عادت طيوراً كما كانت [١].

---

(١) انظر التفسير الواضح الميسّر للصابوني ص٩٩ وتفسير ابن كثير ١/ ٢٧٧.

أحداثٌ وقعتْ قصَّها علينا القرآنُ

وإذا كان هذا البعث للأموات قد وقع في الدنيا، فكيف ينكر الجاحدون للبعث، قدرة الله تعالى على إعادة الناس للحياة، بعد موتهم وفنائهم؟ وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ • ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ • وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ ـ ٧].

أليس في هذا ما يثير انتباه العقلاء، إلى التفكير في قدرة الله عزَّ وجلَّ بإحيائهم، بعد أن كانوا في العدم، ثم تقلّبوا في هذه الأطوار والأدوار، من النطفة، إلى العلقة، إلى المضغة، ثم تتطور هذه «المضغة» القطعة من اللحم، حتى تصبح مستبينةَ الخلق، فيظهر فيها بعضُ الأعضاء، كالرأس، واليد، والرجل، ثم تُنفخ فيها الروح، فإذا بالجماد المتكوّن من اللحم، والعظم، والجلد، والشعر، يصبح إنساناً سوياً، مُبصراً متكلماً!!

فالذي أنشأه في هذه الأدوار، قادرٌ على أن يعيد إليه الحياة مرة أخرى، كما ابتدأ خلقه بهذه الصورة..!

ولذلك ختم تعالى الآية بهذه اللفتة البديعة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ • وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

o p e l k a n a . c o m

إحياءُ الأرض بالنبات برهانٌ على البعث

روى **الإمام أحمد في المسند** عن أبي رُزَين العقيلي أنه سأل النبيَّ ﷺ فقال: (يا رسول الله: كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ـ أي علامةُ ـ **ذلك في** خلقه)!؟

فقال له ﷺ: أمَا مَرَرْتَ بوادي أهلك مُمْحِلاً ـ أي مُجْدِباً ـ؟ قلت: بلى يا رسول الله!

فقال لي: ثم مررتَ به يهتزُّ خَضِراً؟ ـ أي أصبح الوادي المجدب أرضاً حيَّةً مكسوَّةً بخضرة الزرع ـ قلت: بلى يا رسول الله!!

فقال لي: فكذلك يحيي اللهُ الموتى، وذلك آيتُه في خلقه)[1].

إنَّ العينَ لترى عجائبَ صنع الله، فيما أَوْجدَ وأَبْدعَ في هذا الكون، ولكنَّ القلبَ يعمى أحياناً، عن رؤية آثار هذا الخلق البديع، فيجادل ويناقش في قدرة الله، ويُنكر إعادَة خلقَ الإنسان، مع أن وجُودَه بنفسه، أعظمُ برهان على عظمة الله، وقدرته على الإحياء بعد الإفناء، ولكنْ كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١١.

حديث قدسي حول إحياء الميّت

الرسولُ ﷺ يخبر عن ربه

رُوي أن النبيَّ ﷺ كان جالساً ذات يوم مع أصحابه، فبصَق في كفِّه الشريف ـ من ريقه ـ ثم وَضَعَ أصبعَهُ عليه، ثم قال: (يقول اللّٰهُ عزَّ وجلَّ ـ يعني في الحديث القدسي ـ ابنَ آدمَ، أنّىٰ تعجزني وقد خلقتُك من مثلِ هذه؟ ـ أي كيف أعجز عن إعادتك إلى الحياة، وأنا الذي خلقتُك من الماء المهين؟ حتى إذا سوَّيتُكَ وعدلتُكَ، مشيتَ بين بُرديك، وللأرض منك وئيدٌ ـ أي صوتُ ثِقَل من المشي عليها ـ فجمعتَ ومنعتَ ـ أي جمعتَ المال وكنزتَه وحرمتَ منه الفقير ـ حتى إذا بلغت التراقي ـ أي وصلت الروحُ إلى الحلقوم وأشرفتَ على الموت ـ قلتَ: أتصدَّقُ، وأنّىٰ أوانُ الصَّدقة)[1]؟

الإنسانُ يحيا كلَّ يوم ويموت

لو فكَّر الإنسان في نفسه، لعرف أنّه كلَّ يوم يموت ثم يحيا!!

هذا مثلٌ واضح يعرفه كلُّ إنسان، ولكنه لا يتدبَّر الرمز الذي يشير إليه، لاستغراقه في الغفلة، فقد جعل اللّٰه (النوم) نموذجاً للبعث والنشور، ومثالاً للحياة بعد الموت، فإنَّ النائمَ كالميِّتِ، لا يحسُّ ولا يُبصر، ولا يشعر بما حوله، فهو كالميت في زوال الإحساس والتمييز!!

ولهذا عبَّر القرآن الكريم عن النوم بالوفاة، فقال تقدست أسماؤه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

إنَّ النَّوْمَ أخو الموت وشَبِيهُه، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند، وابن ماجه في سننه.

مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

أي يتوفاكم بالليل (الوفاة الصغرى) ويجعل أرواحكم في قبضته تعالى، ويعلم ما كسبتم من الأعمال في النهار، من طاعات أو سيئات، ثم يوقظكم في النهار، لتبلغوا كامل أجلكم، وهو وقتُ انتهاء أعماركم، وهو (الوفاةُ الكبرى) ثم مرجعكم إليه يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم التي اكتسبتموها، من خيرٍ أو شرّ، وحَسَن وقبيح!!

النَّومُ للإنسان وفاةٌ صغرى

سمّى تعالى النوم وفاةً، لتشبيه النائم بالميت، فالنومُ (وفاةٌ صغرى) أمّا (الوفاة الكبرى) فهي عند مفارقة الروح للجسد، ولهذا كان النبي ﷺ إذا استيقظ من النوم يقول: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتَنا وإليه النشور)[(١)].

فكما ينام الإنسان، ثم يصحو من النوم، كذلك يموت الإنسان، ثم يحييه الله ويبعثه!

وقد جاء في بعض خُطَب الرسول ﷺ، أنه كان يقول: (والذي نفسي بيده، لتموتُنّ كما تنامون، ولتبعثُنّ كما تستيقظون، وَلَتُجزونَّ بالحسنة إحساناً، وإنها لجنّةٌ أبداً، أو لنارٌ أبداً) أو كما قال ﷺ.

تشبيه رائع للبعث (بالأرض الميتة)

وكثيراً ما يشبِّه القرآن الكريمُ، البعثَ (بعد الموت)، بالأرض القاحلة الجرداء، ينزل عليها المطر من السماء، فتحيا الأرضُ، وتحيا الأشجارُ والأثمارُ، بعد أن كانت يابسة ميتة، مجرّدة من كل ما يشير إلى الحياة، من خضرةٍ، وزرعٍ، وثمر!!

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ١١/٩٦ في الدعوات، ولفظُه (أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أوىٰ إلى فراشه ـ أي اضطجع على الفراش ـ قال: باسمكَ اللهمّ أحيا وأموتُ، وإذا استيقظ قال: الحمدُ للهِ الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) أي إليه سبحانه المرجعُ والمصيرُ بعد الموت.

اقرأ قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

انظر إلى هذا التصوير الفنيِّ الرائع البديع، فقد صوَّر القرآنُ الأرضَ اليابسة الجرداء، قبل أن ينزل عليها الماء، بصورة رائعة تفوق الخيال في روعة الجمال!!

صورةِ الرجلِ البائس المسكين، الذي جَلَس على قارعة الطريق، يستجدي إحسانَ المحسنين ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ أي ومن دلائل قدرته ووحدانيته، أنك ترى الأرض جرداءَ قاحلة، تشبه الرجل الذليل المسكين، المنتظر للعطف والإحسان.

استعار لفظ (الخشوع) للذلّة والحاجة والمسكنة، التي تكون عليها الأرض، وهي تنتظر رحمة السماء، لإنقاذها من الموت والدمار ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ أي فإذا نزل عليها المطر، دبَّت فيها الحياةُ، فأخرجت العُشبَ والزرعَ والثمر!!

التعبيرُ القرآنيُّ المبدِع

تأمَّلْ معي التعبيرَ المبدعَ في لفظ (الخشوع، والاهتزاز، والنُموّ) لهذه الأرض الميتةِ الجرداء، كيف تصبح بعد نزول الماء عليها، كأنَّها عروسٌ فاتنة، تزيَّنتْ بأبهى حُلَل الزينة والجمال، وهي تَميسُ طَرَباً، وتختالُ عُجْباً!!

ثم جاء التمثيل لإحياء الأموات، بالأرض التي أحياها الله بنزول المطر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فالذي أحيا الأرض بعد جَدْبها، يُحْيي الموتى بعد فنائهم وموتهم.!

إنّه التمثيلُ الساطع، والبرهانُ القاطع، على قدرة الله جلَّ جلالُه، على بعث الناس بعد موتهم، بطريق (القياس الواضح)، الذي يقبله العقلُ، والمنطقُ السليم.

❁❁❁

إقامة البراهين على البعث بعد الموت

وانظر إلى القرآن، وهو في مَعْمعان إقامة الدليل العقلي، على البعث والنشور، وفي مواجهة المنكرين المكذبين له، كيف يسوق دليله سوقاً يهزُّ القلوب هزًّا، ويُمتِع العاطفةَ إمتاعاً، بما جاء في طيِّ هذه الأدلة المسكتة المقنعة، إذ يقول سبحانه في سورة «ق»:

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق: ٩ ـ ١١] أي كذلك نخرجكم أحياءً من قبوركم، بعد موتكم وفنائكم، كما نحيي الأرض المجدبة، بالماء الهاطل من السماء. !

يا لَلْجَمال السّاحر!! ويَا لَلإعجاز الباهر!! الذي يستقبل عقل الإنسان، بأنصع الأدلّة، وأجمل البيان، في هذه الكلمات المعدودات!! ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ هل رأيتَ إيجازاً أخصَرَ، وبرهاناً أرْوع، من هذا الاستدلال والبيان؟

واقرأ قول الله عزّ وجلّ في سورة الروم:

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠].

أي انظر أيها الإنسانُ العاقل، نَظَر تفكُّر وتدبُّر، إلى ما يُنشئه ربُّ العزة والجلال، من آثار رحمة الله بنزول المطر، من خضرة الزرع، وتَفتُّح الأزهار، وخروج الثمار، بعد أن كانت الأرض ميتة مجدبة، لا زَرْعَ فيها ولا ثمر.

هذه كلُّها نماذجُ حيَّةٌ واقعية، للبعث والنشور، فكيف يُنكِرُ الكافرُ قدرة الله على إحياء البشر؟

تَأَمَّلْ فِي الوُجُودِ بِعَيْنِ فِكْرٍ ... تَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ كَالْخَيَالِ

وَمَنْ فِيهَا جَمِيعاً سَوْفَ يَفْنَى ... وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ

ضربُ الأمثال في الكتاب العزيز

وقد ضربَ تبارك وتعالى لهذه (الحياة الدنيا) الأمثالَ في كتابه العزيز، لئلا يركنَ إليها المؤمنُ، وينسى الآخرةَ، التي هي دارُ الخلودِ والبقاءِ، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] مثَّلَ تعالى للحياة الدنيا، بالمطر الهاطل من السماء، تُخرجُ به الأرضُ أنواعَ النباتات، والأزهار، والثمار، ممَّا هو غذاء للناس، من أنواع الحبوب والثمار، وممَّا ترعاه البهائم من الكلأ والعشب.

والتعبيرُ بقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ تصويرٌ رائعٌ في منتهى الإبداع والجمال، تمثيلٌ للأرضِ بالعروس، إذا تزيَّنَتْ بالحُليِّ والجواهر، فلبستْ أفخرَ الملابس، وتجمَّلتْ بأبهى الحُلَلِ، فإنها تزيد في الفتنة والإغراء، كذلك الدنيا تَخدعُ ثم تَصرَع، فإذا نزل المطر، تزيَّنَتْ الأرضُ بالأزهارِ والثمار، ثم جاءها أمرُ اللّهِ بالهلاك والدمار، فصارت خراباً يَباباً، بعد أن كانت زاهرةً ناضرة، فلا ينبغي للمؤمن العاقل، أن ينشغل بها وينسى آخرته!

واقرأ قول اللّه تعالى، في بيان حقيقة هذه الحياة الدني، التي يخلد إليها الغافلون، ويتباهون فيها بالأموال، والأحساب، والأنساب: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

المراد بالكفَّار في الآية: الزُّراعُ، لأنهم يُغطُّون البذرَ ويسترونه في الأض، شبَّه تعالى زينةَ الدنيا وبهرجها، بمطرٍ غزير أصاب أرضاً، فأخرجت أنواع النبات الزاهي الخضر، فأعجَب الزُّراعَ نباتُه، وإذا أعجب الزُّراعَ فهو في غاية الحُسْن، ثم لا يلبثُ هذا الزرع، أن يصبح هشيماً يابساً، بعدما كان خَضِراً نَضِراً، كذلك حالُ الدنيا، متاعٌ زائل، لا بدَّ أن يفنى، أمَّا الآخرةُ فهي دارُ السرور والحبور، وفيها النعيمُ الدائمُ الذي لا ينقضي ولا يزول.

قال الحافظ ابن كثير: هكذا الحياةُ الدنيا، تكون أولاً شابّةً، ثم تكتهلُ، ثم تكون عجوزاً شَوْهَاء، والإنسانُ يكون كذلك في أول عمره، وعُنفوانِ شبابه، غضًا طَرِيًا، ليّنَ الأعطاف، بهيّ الصورةِ والمنظر، ثم يكبُرُ فيصبح شيخاً هَرِماً، ضَعيفَ القُوى، وما هذه الدنيا إلّا متاعٌ فانٍ، يغترُّ بها من يعتقدُ أنه لا دَارَ سواها، وهي حقيرةٌ قليلةٌ بالنسبة للدار الآخرة(١).

ما المقصود من ذمّ الدنيا؟

وينبغي أن نعلم، أنّ ما ورد في القرآن الكريم من ذمّ الدنيا، وكذلك ما ورد في السنة المطهّرة، إنما يُراد به التحذير من الاغترار بها، وقصرِ الهمّة عليها، والتكالب على جمع حُطامها، ونسيانِ الدار الآخرة، بحيث يكون همُّه الدنيا فقط، دون العمل للآخرة، فهذا هو الذي حذّر منه القرآنُ الكريمُ، في قوله تقدست أسماؤه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧، ٨].

وفي الحديث الشريف: (من كانت الدنيا هَمّه، شتّتَ اللّه شمله، وجعل فقرَه بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلّا ما قُدّرَ له منها.

ومن كانت الآخرةُ هَمّه، جمع اللّه شمله، وجعل غناه في قلبه، وجاءته الدنيا وهي راغمة)(٢).

عالمُ البرزخ

بعد وفاة الإنسانِ، وانتقاله من داء الفناء إلى دار البقاء، يمرُّ في حياةٍ وعالَم آخَر، يسمى (عالَمَ البَرْزخ) هذا العالمُ وسطٌ بين عالم الدنيا، وعالم الآخرة، والبَرْزخُ معناه: الحاجزُ، سُمّي برزخاً لفصله بين الحياتين: (حياة الدنيا)، و(حياة الآخرة)، وإليه أشارت الآية الكريمة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

---

(١) تفسير الحافظ ابن كثير ٣/ ٤٥٠ المختصر.

(٢) الحديث رواه الترمذي في سننه رقم (٢٤٦٧) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٧.

أي أمامه حاجزٌ يحولُ بينه وبينَ العودةِ إلى الدنيا، إلى يوم القيامة، هذا الحاجزُ هو (القبرُ) الذي سيكون مثواه إلى يوم الحشر.

قال مجاهد: البرزخُ: الحاجزُ ما بين (الدنيا) و(الآخرة) إلى يوم البعث، وهو القبرُ!!

هل الموتُ فناءٌ بالكليَّة؟

والموتُ ليس فناءً بالكلِّية، كما يتصوَّره بعضُ الغافلين، بل هو انتقالٌ من حياةٍ إلى حياة، كما ينتقلُ الطفلُ من بطن أمه، الذي كان يعيش فيه، إلى عالَم جديد عليه، هو عالم (الدنيا) وكلٌّ منهما يختلف اختلافاً كبيراً عن الآخر، وإذا فكَّرنا كيف كان الطفل، يأكل ويشرب ويتنفَّس، وهو في بطن أمه، في هذا (الصندوق الضيّق) وقارنَّا بين الحياتين، نجد الفارقَ بينهما كبيراً، لقد كان في عالم ضيّق، ثم انتقل إلى عالَم آخرَ واسعٍ شاسع، كذلك (عالَمُ البرزخ) يختلف عن عالم الدنيا.!

وقد وردت النصوصُ في الكتاب والسنة، تثبتُ حياةَ الإنسان في القبر، بأخبارٍ قاطعة، كلُّها تشير إلى النعيم، الذي يلقاه الميّتُ في قبره، أو العذابِ والجحيم، الذي يصيبُه في تلك الحُفْرة، فالقبرُ (إمَّا روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حُفَر النار) كما أخبر عن ذلك الصادقُ المصدوقُ، عليه أفضل الصلاة والتسليم[١].

النصوصُ القرآنية على عذاب القبر

أمَّا النصوصُ القرآنيةُ، عن سؤال الملكَيْن له في القبر، فنذكر منها الآتي:

- **أولاً:** فقد أخرج البخاريُّ عن البراءِ بنِ عازبٍ أن رسول اللَّه ﷺ قال: (المسلمُ إذا سُئل في القبر، شهدَ «أن لا إله إلّا اللَّهُ، وأن محمداً رسولُ اللَّه» فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

(١) عالم البرزخ فيه غرائب وعجائب، منها سؤال الملكَيْن له في القبر، عن دينه، وربه، ونبيّه، واختلاف أضلاع الكافر فيه، وكون القبر روضةً من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وكلُّ هذه حقائق غيبية لا شك فيها، جاء ذكرها في الكتاب والسُّنَّة.

فهذا نصٌ واضحٌ صريح، على سؤال الميّت في القبر من القرآن الكريم، وضّحه ﷺ وبيّن معنى (التثبيت) الوارد في الآية الكريمة: أنه النطقُ بكلمة التوحيد في القبر.

● **ثانياً:** قولُه تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ • النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]. أي يُعذَّبون في القبور في الصباح والمساء، فالمراد بالنار هنا: نارُ القبر، لا نارُ جهنم، بدليلِ قولِه تعالى بعده ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ومعلومٌ أن القيامة لم تأت بعد، فكيف يُخبرُ تعالى أنهم يُعرضون على النار، ويُعذَّبون بها؟ إنه بلا شك عذابُ القبر، لا عذابُ جهنم، فهي نارٌ قبل نار الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير: وهذه الآيةُ أصلٌ كبير، في استدلالِ أهل السُّنَّة على عذابِ البرزخ في القبور، وقولُه تعالى: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أي صباحاً ومساءً ما بقيت الدنيا(١).

● **ثالثاً:** وكذلك قولُه تعالى عن قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

المرادُ بالنّار هنا: (نارُ القبر) و(عذابُ البرزخ) لا نار جهنم، لأنها عُطفت بالفاء، والفاءُ في اللغةِ العربية، تفيدُ الترتيبَ مع التعقيب، لأن الإحراقَ جاءهم بعد الإغراق، أي بسبب كثرة جرائمهم الشنيعة، أُغرقوا بالطوفان، وأُدخلوا مباشرةً ناراً عظيمة هائلة، هي (نار القبر).

● **رابعاً:** قولُه تعالى عن الكفار الفجار ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

المرادُ بالعذاب الأدنى ـ أي القريب ـ عذاب القبر، لأن عذاب الآخرة لم يأت بعد، حيث لا يكون إلّا يوم القيامة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٤.

obeikandl.com

عذاب الكافر وقتَ نزع الروح

• **خامساً**: وممّا يتعلّقُ بسكراتِ الموتِ وقتَ الاحتضار ـ وهي من الأمور الغيبيّة التي أخبر عنها القرآنُ ـ ما يلقاه الكافرُ من أنواع الشدّةِ والبلاء، والضرب والتعذيبِ، على الوجوه والظهور، لنزع روحهِ الخبيثةِ من جسده، قولُ اللّه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١].

أي لو رأيت أيها السامعُ، حالَ الأشقياء المجرمين، حين تقبضُ ملائكةُ العذاب أرواحَهم الخبيثة من أجسادهم، وهم يَضْربونهم بمقامعَ من حديد، على وجوههم وظهورهم!!

وجوابُ (لو) محذوف للتهويل والتفظيع، أي لرأيت أمراً عظيماً فظيعاً، لا يكاد يوصف من شدّته وهوله. ونحن وإن لم نر ملائكة العذاب تقبض أرواح الكفّار، وتضربهم بمقامع الحديد، ولكنّنا لا نشكُّ في حدوثه، لأنه خبرُ اللّهِ القاطعُ، الذي لا يدخلُه أدنى شك، وقد أخفى اللّه عنا رؤيةَ هذه الأمور، ابتلاءً وامتحاناً، ليَظهَر صدقُ المؤمنين، الذين يؤمنون بالغيب، فإنَّ أوّلَ صفات المؤمن الصادق: الإيمانُ بالغيب، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢، ٣].

• **سادساً**: كما أخبر تعالى في موطنٍ آخرَ، ما يلقاه الكافر من شدائدَ وأهوالٍ، عند نزع روحه الخبيثة، حيث تحضره ملائكةُ العذاب، وتضربُه بسياطٍ لاذعة، وتقولُ له سخريةً واستهزاءً: خلّصْ نفسك من العذاب إن كنت تستطيع!! **وتقول له**: اليومَ تذوقُ ما كنت تكذّب به، وتهزأ منه!! قال اللّه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

• **سابعاً**: كما أقسم تعالى (بملائكة العذاب) وهي تقبض أرواح الكفار

الفجار، بشدةٍ وعنف، نزعاً بالغ الشدّة، تنزع أرواحهم من أجسامهم، كما يُنْزعُ سِيخُ الحديد، ذو الشُّعَبِ الكثيرةِ، من الصُوفِ المبتلّ، فتتمزّق أمعاؤه، حتى كأنّ روحَ الكافر، تخرج من ثُقب إبرة، إمعاناً في الشدة والعنف.

كما أقسم (بملائكة الرحمة) وهي تنزع روحَ المؤمن، برفقٍ ولين، وتسلُها سلّاً رفيقاً، كما تُسلُّ الشَّعْرةُ من العجين، وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا • وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا • وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا • فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا • فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ [النازعات: ١ ـ ٥].

قال المفسرون: هذا قَسَمٌ من اللّه تعالى بالملائكة: (ملائكةِ العذاب) و(ملائكة الرحمة) ملائكةِ العذاب التي تنزع أرواح الكفار بغلظةٍ وعُنف، وملائكة الرحمة التي تنزع أرواح المؤمن برفقٍ ولين!!

وهذه كلُها حقائق غيبيّة يجب الإيمان بها دون أيّ شك، لأنه خبرُ اللّهِ القاطع.!

الأحاديث الصحيحة في عذاب القبر

أمّا ما ورد في عذاب القبر ونعيمه، من الأحاديث الصحيحة، فأكثرُ من أن يُحصى، نذكر منها بضعةَ أحاديثَ شريفة.

- **الحديثُ الأول**: عن عثمانَ بن عفّانَ رضي اللّه عنه، أنه قال: (كان النبيُّ ﷺ إذا فَرَغَ من دفنِ الميّت، وقَفَ عليه، وقال: استغفروا لأخيكم، وَسَلُوا له التثبيتَ ـ أي تثبيتَ لسانِهِ على النُّطق بالشهادة، عند سؤال الملَكين له في قبره ـ فإنّه الآنَ يُسألُ)[1] رواه أبو داود في سننه.
- **الحديث الثاني**: عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي اللّه عنه أنه قال: كان النبيُّ ﷺ يقول: (إذا وُضِعت الجنازةُ، فاحتملَها النّاسُ على أعناقهم، فإنْ كانت صالحةً، قالت: قدِّموني، وإن كانت غير صالحة، قالت: لأهلِها: يا ويلَهَا أينَ تذهبون بها؟ يسمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلّا الإنسانُ، ولو سَمِعَ الإنسانُ لصَعِقَ أي هَلَك ومات) رواه البخاري[2].
- **الحديث الثالث**: عن عليِّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه أنه قال: (كنّا في جنازةٍ في بقيع الغرقد ـ أي مقبرة البقيع في المدينة المنوّرة ـ فأتانا رسولُ اللّه ﷺ فقعَد وقعَدْنا حولَه، وبيده مِخْصَرة ـ أي عصا رفيعة ـ فجعل ينكُتُ بها الأرضَ ـ أي يحرّك بها التراب ـ ثم قال: ما منكم من أحدٍ، إلّا وقد كُتِبَ مقعدُه من النّار، ومقعدُه من الجنة!!

قالوا يا رسولَ اللّه: أفلا نَتّكلُ على كتابنا ـ أي نعتمد على قضاء اللّه ـ ونترك العمل؟ قال: لا، اعملوا فكلٌّ ميسّرٌ لما خُلِق له، أمّا من كان من أهل السعادة، فييسّرُ لعمل أهل السعادة، وأمّا من كان من أهل الشقاء، فيُيسّر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ ﷺ:

---

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه رقم (٤٧٥٠) والترمذي رقم (٣١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٣١٦).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠] رواه البخاري[(١)].

● **الحديث الرابع**: عن عائشة رضي الله عنها أنَّ يهودية دخلت عليها، فذكرتْ عندها عذابَ القبر، وقالت لها: أعاذَكِ اللَّهُ من عذاب القبر!!

فلمّا دخل عليها رسولُ اللَّه ﷺ، ذكرتْ له عائشةُ ما سمعتْه من اليهودية، وسألتْه عن عذاب القبر، فقال: نعم، عذابُ القبر حقٌّ.!

قالت عائشة: فما رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ بعدُ صلّى صلاةً، **إلَّا** تعوَّذ من عذَابِ القبر) رواه البخاري[(٢)].

● **الحديث الخامس**: عن أنسِ بنِ مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: (إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِه، وتولّى عنه أصحابُه، وإنه ليسمع قَرْع نِعَالهم ـ أي أصواتَ مشيهم بعد دفنهم له ـ أتاه مَلَكانِ فيقعدانه، فيقولان له! ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ ـ يريد به محمداً ﷺ ـ **فأمّا المؤمنُ فيقول**: أشهدُ أنه عبدُ اللَّه ورسولُه!!

فيقال له: أُنظرْ إلى مقعدك من النَّارِ، قد أَبدلَكَ اللَّهُ به مقعداً من الجنة!

قال ﷺ: فيراهما جميعاً، ثم يُفسح له في قبره.!

وأمّا المنافقُ والكافر، فيقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجلِ الذي بُعث فيكم؟ يعني محمداً ﷺ ـ فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ!؟ ـ يعني كما يتحدَّث عنه المشركون: شاعرٌ أو ساحر ـ فيُقال له: لا دريتَ ولا تَلَيْتَ ـ أي ما عرفتَ أمرَ الرسول ولا تليتَ كتاب اللَّه ـ ثم يُضرب بمطارقَ من حديد، ضربةً فيصيح منها صيحةً، يسمعها من يليه غيرُ الثقلين) الثقلان: الإنسُ والجنُّ[(٣)].

فهذا الحديث صريحٌ، في عذاب الكافر في القبر، وأن مطارقَ الحديد تنزل عليه، فيصيح منها صيحةً يسمعها أهلُ السماءِ والأرض، إلَّا الإنس

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير رقم (٤٩٤٥) ومسلم في القَدَر رقم (٢٦٤٧).
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز ٣/ ١٨٧ ومسلم في المساجد رقم (٥٨٤).
(٣) رواه البخاري في باب (ما جاء في عذاب القبر) ١/ ٢٣٧.

openkanz.com

والجنُّ، وأنَّ القبر يضيق عليه حتى يصبح حفرةً من حُفَر النار، بينما يصبح قبرُ المؤمنِ فسيحاً، واسعاً، كأنه روضة من رياض الجنة، وأنَّ الإنسان في القبر يسمع ويُحسُّ ويرى، ولكنْ تختلف حياتُه عن حياة النَّاسِ، لأنها حياة برزخية، والله تعالى أعلم.

● **الحديث السادس**: عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم وقد وجبت الشمسُ ـ أي طَلَعتْ وسطعتْ ـ فسمع صوتاً، فقال: (يهودُ تُعذَّب في قبرها) رواه البخاري[(١)].

فالرسولُ ﷺ سمع أصوات اليهود، وهي تتعذَّب في قبورها، فأخبر أصحَابَهُ عن مصدر هذه الأصوات، وهذا دليل واضح على عذاب القبر، أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ.

● **الحديث السابع**: وعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا أُقْعِد المؤمنُ في قبره، أُتي ثم شهد أنْ (لا إلهَ إلّا اللّهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله) فذلك قولُه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ رواه البخاري[(٢)].

● **الحديث الثامن**: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنّ أحَدَكم إذا ماتَ، عُرِضَ عليه مَقْعدَه بالغداة والعشيِّ ـ أي بالصباح والمساء ـ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإنْ كان من أهل النّار فمن أهل النّار ـ يعني إن كان من أهل الجنة يرى الجنّةَ، ويكون قبرُه روضةً من رياضها وإن كان من أهل النارِ يرى النّارَ وهو في قبره، ويصبح عليه حفرة من حُفَر النار، ثم يُقال له: هذا مقعدُك حتى يبعثك الله يوم القيامة)[(٣)] رواه البخاري.

● **الحديث التاسع**: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (مرَّ النبيُّ ﷺ على قَبْرَيْن ـ سمِعَ عذابهما بنفسه ـ فقال: إنهما ليعذَّبان، وما يعذَّبان من كبير ـ أي من أمرٍ كبير كان يمكنهما اجتنابه:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز رقم (٦٩٢).
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز رقم (٦٨٨).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٦٩٤).

أمّا أحدهما: فكان يسعى بالنميمة ـ أي ينقل كلاماً من شخصٍ لآخر، للإفساد بينهما ـ.

وأمّا الآخر: فكان لا يستتر من بوله ـ أي لا يحفظ نفسه من البول ـ، ثم أخذ عوداً رطباً، فكَسَره باثنتين، ثم غَرَز كلّ واحدٍ منهما على قبر، **ثم قال**: لعلّه يُخَفَّف عنهما ما لم يَيْبسا)[1] رواه البخاري.

● **الحادي العاشر**: قال ﷺ: (لولا أن لا تدافنوا ـ أي يدفن بعضُكم بعضاً ـ لدعوت اللّهَ أن يسمعكم عذاب القبر).

وممّا يؤيّد ما ذكرناه من الأحاديث النبوية الشريفة، في عذاب القبر، أن الرسول ﷺ كان يستجير باللّه عزّ وجلّ من عذاب القبر، ويدعو في صلاته بهذا الدعاء المشهور:

(اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال) رواه البخاري.

كيف يُعَذَّب الإنسانُ في القبر؟

قد يقول بعضُ المغفّلين البسطاء، الذين لا يعرفون قدرة اللّه عزّ وجلّ، ويتحدّثون بمنطقٍ أعوج، غير سليم، كيف يُسأل الإنسانُ في قبره؟ وكيف تُجلسه الملائكةُ للحساب، والسؤالِ والجواب؟ وهو في هذا المكان الضيّق، وقد أهيل عليه التراب؟ وكيف يُضرب بمقامعَ من حديد؟ ولو كشفنا عنه القبر، فإننا لا نرى عليه آثار الضرب والعذاب!!

والجواب عن ذلك: أنّ هذه الوساوسَ إنما تتأتى من غفلة الإنسان، عن قدرة الباري جلّ وعلا، وقياسِ (عالمِ البرزخ) على عالَم الدنيا، وهو قياسٌ خاطئ، مبعثُه الجهلُ بأمور الآخرة، وعدمُ الفهم الصحيح لمعنى الموت.!

الموتُ ليس فناءً للإنسان بالكلّية، بل هو انتقالٌ من حياة إلى حياة أخرى، كما ينتقل الطفلُ من بطنِ أمه، إلى عالَم الدنيا، فهو في بطن أمه يَسْرح ويَمْرح، ويأكل ويشرب، بغير الطريقة التي يأكل بها بعد الولادة،

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز رقم (١٣٦١).

ويتنفَّس أيضاً بطريقة أخرى، ولو أردنا أن نعيده إلى الحياة، التي كان يعيشها في بطن أمه، فوضعناه في صندوق مغلق، ومنعنا عنه الطعام والشراب من فمه، وأردنا أن يكون طعامه بطريق الحبل السُّريّ، لاختنق ومات، فكيف يُقاس عالَمُ البرزخ (القبر) على عالَم الدنيا؟

وهناك نموذجٌ مصغَّر لنعيم القبر وعذابه، هو (النَّومُ) سمَّاه اللّهُ وفاةً وموتاً في قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

بين (الوفاة الصغرى) و(الوفاة الكبرى)

يخبر الحقُّ جلَّ وعلا أنه يُميت البشر، فيقبض أرواحهم عند انتهاء آجالهم، وهذه هي (الوفاةُ الكبرى) وفاةٌ حقيقية كاملة، ويتوفَّى الأنفسَ التي لم تمت في منامها، وهي (الوفاةُ الصغرى) لأن النائم كالميِّت، لا يُبصر، ولا يسمعُ، ولا يحسُّ بما يجري حوله، حتى يستيقظ، فهو يشبه الموت من هذا الوجهِ.

وقد جعل اللّه هذه (الوفاة الصغرى) دليلاً على البعث والنشور، فكما ينام الإنسانُ ثم يصحو من النوم، كذلك يموت الإنسانُ، ثم يُحييه اللّهُ ويبعثه بعد موته، للحساب والجزاء، ولهذا كان صلواتُ اللّه وسلامُه عليه إذا استيقظ من النوم يقول: (الحمدُ للّهِ الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) رواه البخاري.

وقولُه تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ أي يمسك أرواح الأموات عنده، فلا يردُّها إلى أبدانها ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يرسلُ أرواح الأحياء النائمة، إلى أبدانها عند اليقظة، وفي هذا عبرةٌ وعظة.

التمثيلُ بالرؤيا المناميَّة

ونذكر لتقريب مسألة (عذاب القبر ونعيمه) للعقل البشري هذا المثال: «شخصان نائمان في غرفةٍ واحدة، أحدهما يرى في نومه، أنه كان في بؤسٍ شديد، يسكن في حارة يسكنها الفقراء، لم يشعر بالراحة طيلة حياته، لفقر ذات يده، وتمرُّ عليه الأعوام فيُنفيه اللّه عزّ وجلّ، ويوسّع اللّهُ عليه في الرزق، إلى درجة لم يحلَمْ بها، فقد أصبح ممن يملك ثروةً طائلة تبلغ مئات الآلاف من الملايين.

بنى له قصراً فخماً، فيه الحدائق الغنّاء، فيها الأشجار والثمار، وعنده الخدمُ والحَشمُ، يأتونه بلذائذ الطعام، وكلّ ما تشتهيه نفسه، ممّا لا يوجد إلّا في قصور الملوك، من الفُرش الوثيرة، والأرائك، والمجالس التي تُبْهر العقول، وفي قصره تتدفق عيون الماء وكأنها أنهار، وعاش هذا الرجل عيشة المترفين، بعد أن ذاق ألم الفقر ومرارته، فقد تزوّج بالحسناوات، وأنجب منهن أبناءً وبنات، فقد انقلبت حياته من الجحيم إلى النعيم، كلُّ هذا يراه في منامه، وهو في الفراش.

أمّا الرجلُ الآخر، الذي ينام إلى جوار صديقه، فقد رأى في منامه أنه بينما كان مستغرقاً في نومه، إذا بالباب يُقرع عليه قرعاً عنيفاً، فخرج فزعاً يفتح الباب، وإذا بثُلّة من رجال الأمن والشرطة، يقتحمون عليه المنزل، وهم مدجّجون بالسلاح، يتطاير الشرُّ من أعينهم، فما أن رأوه حتى قيّدوا يديه ورجليه بالسلاسل الحديديّة، وعصبوا عينيه، واستاقوه معهم إلى مركز الشرطة، وهو يصرخ ماذا صنعتُ؟ لماذا تأخذونني إلى السجن؟ وهم يضحكون منه ويسخرون، ويقولون له: أَمَا تدري الجريمة الشنيعة التي ارتكبتَها؟ إنك قاتلٌ، أنت مجرم، سفكتَ دم فلان، ثم ألقيتَ بجثّته أمام (سُكّة القطار) لتُخفي جريمتك، وقد شاهدك أناسٌ كثيرون حين قتلْتَه، وشهدوا بأنك أنت القاتل!!

صار يصرخُ ويحلفُ الأيمانَ المغلَّظة، أنه بريء لا علم له بالحادثة، ولا بالقاتل، ولم يخرج من بيته في ذلك اليوم، الذي اتُّهم فيه بالقتل!!

أُلقي في السجن تلك الليلة، في زنزانةٍ ضيِّقة، وفي الصباح أُخرج من السجن إلى (المحكمة) وأمام القضاء عُرضت مسألة قتله للرجل، وهو ينكر، ويقول: واللّهِ لا علم لي بالأمر، وهذه تهمةٌ أنا بري منها، وبعد محاكمات طويلة، كان يخرج فيها من السجن إلى المحكمة، ثم يعاد إلى الزنزانة، ثبت لدى القُضاة الثلاثة، بشهادة الشهود الذين دخلوا القاعة وهم جمعٌ غفير، يقولون أمام رئيس المحكمة، وأمام القُضاة الثلاثة: نعم واللّهِ هذا هو الجاني، هذا هو القاتل. !

بعد مداولاتِ القضاة، صَدَر الحكمُ عليه بالإعدام (شنقاً) لثبوت جريمة القتل عليه، وحُدّد اليومُ الذي يُنفَّذ فيه حكمُ الإعدام، وفي ذلك اليوم أُخرج من الزنزانة، وسيق إلى ساحة الإعدام، ووُضع حبلُ المشنقة في عنقه، وتُلي عليه الحكمُ بالإعدام أمام جمهور من الناس، ولم يبق بينه وبين تنفيذ الحكم، إلّا شدُّ الحبل الذي في عنقه!

في هذه اللّحظة التي كان سيلقى فيها مصيره المشؤوم، استيقظ الرجل من النوم، وهو يرتعد من شدة هول ما رآه، وهو يقول: الحمدُ للّه، لك الحمدُ يا ربّ أنَّ هذا كان مناماً، ولم يكن واقعة حقيقية.

هذا ما رآه كلٌ من الشخصين في منامه، ولو كشفنا الغطاء عن وجهيهما، لا نرى ما كان عليه الأول من البهجة والسرور، بالغنى بعد الفقر، ولا ما أصاب الثاني من الكرب والشدائد، وهو يلقى مصيره المشؤوم!

فكيف يستبعد العاقل على قدرة اللّه عزَّ وجلَّ، أن يجعل هذا القبر على صاحبه (نعيماً) أو (جحيماً) وهذا النومُ أبسطُ مثالٍ على ما يحدث للإنسان في قبره؟

ما هما الموتتان والحياتان؟

لقد كان المشركون يستبعدون قدرةَ اللّه، على إحيائهم بعد الموت، بل ينكرون العودة إلى الحياة مرة أخرى، ويقولون: كيف يجمع اللّهُ العظامَ البالية، المختلطة بتراب الأرض، المتبعثرة في الثرى؟

وكيف يرجع الإنسانُ حياً بعد أن أكلت الأرضُ لحمه، وأبلتْ عظامَه؟ أمّا اليوم فإنهم يعترفون بقدرة اللّه، يوم يقفون بين يدي الجبّار الكبير المتعال، فيقرُّون بجرائمهم، معترفين ومصدِّقين بقدرته تعالى على إحيائهم ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾؟ [غافر: ١١] .

أي أمتّنا إماتَتَيْن، وأحييتنا إحياءَتَيْن، فاعترفنا بذنوبنا ومعاصينا، فهل تخرجنا من النار، لنسلك سبيل المؤمنين الأبرار؟

ومرادُهُم من هذا الاستعطاف والاعتراف، أن يخفِّف اللّهُ عنهم العذاب، أو ينجيهم ويخلّصهم منه، كأنهم يقولون: هل من سبيلٍ ووسيلة لإخراجنا من النار؟ وهل تردّنا إلى الدنيا لنعمل بطاعتك؟

وسُرعانَ ما يأتيهم الجواب باليأس والإقناط، مع بيان سبب ذلك، فيقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] .

أي لا أمل لكم بالخروج، بسبب كُفرِكم، وتكذيبكم للقاء اللّه، فقد كنتم إذا دُعيتم إلى (الإيمان) و(توحيد الرحمن) تكفرون، وإذا دُعيتم إلى (عبادة الأوثان) تُسرعون وتؤمنون، فلا نجاةَ ولا خروج لكم من هذا العذاب، والحُكْمُ اليوم للكبير المتعال!؟

ومرادُهم بالموتَتَيْن: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ .

أمّا الموتة الأولى: فحين كانوا في العدم قبل أن يخلقهم اللّه.

وأمّا الموتةُ الثانية، فحين ماتوا، عند انتهاء الأجل، وقد فسّرتها آيةُ البقرة، قال الله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨].

ومرادهم بالإحيائتَيْن ﴿ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾.

إحياءهم **الحياة الأولى** حين خرجوا إلى الدنيا من بطون الأمهات.

والثانية: إحياءهم بالبعث بعد الممات.

فقد أقرُّوا الآن بالإحياء لهم بعد موتهم، فهاتان موتتان، وحياتان!!

obeikandl.com

التذكير بإحياء البشر بعد الموت

وقد تكرَّر التذكير للبشر بإحيائهم بعد الموت، لأهميَّةِ هذا الموضوع الذي ينساه الكثيرون، وهو عنصر هامٌ من أركان الإيمان، عليه يُبنى قانون (الحساب والجزاء) ولولا هذا القانونُ، لانقلب الناس إلى وحوش ضارية، كلُّ واحد يريد أن يفترس الآخر، ويسحقه في هذه الحياة.

يقول الله تقدست أسماؤه في سورة الروم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الروم: ٤٠].

والمعنى: هو جلَّ جلاله الذي يُحيي الخلق، ثم يُميتهم، ثم يعيدهم إلى الحياة مرة ثانية، ليجازيهم على الأعمال، فماذا صنعت هذه الأوثان، حتى عبدتموها من دون الرحمن؟

والسؤال هنا: سؤالٌ لا يحتاج إلى جواب، إنَّما يُراد به التقريعُ والتوبيخ لهم، أي لا أحد يفعل شيئاً من تلك الأفعال، بل هو من فعل الكبير المتعال، فهو وحده الخالق الرازق، المحيي المميت، ولهذا جاء ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تنزَّه اللّهُ وتقدّس عن أن يكون له شبيهٌ، أو نظير، في الخلق والإبداع. !

obeikandl.com